مجلة وراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية المجلد 02 العدد 14 بتاريخ 2019/08/10م

ISBN :978-9957-67-204-1 - ISSN (ISSN-L):2617-9857

المتغيرات السوسيو ثقافية وأثرها على الهوية الثقافية بالمجتمع الإماراتي

محمد راشد محمد راشد الحفيتي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس الرباط

larbielhadraoui7@gmail.com

تاريخ الإيداع:2019/07/31م تاريخ التحكيم: 2019/08/07م تاريخ القبول: 2019/08/08م

الملخص

نسعى من خلال هذا المقال، إلى البحث والمعرفة عن واقع الهوية الثقافية واللغوية بالمجتمع الإماراتي، في ظل المتغيرات والتحولات السوسيو الثقافية التي تعيشها دولة الإمارات العربية المتحدة بالوقت الراهن، بهدف اسقاط الضوء على هذه الآثار التي تخلفها عليها هذه التغيرات؛ وبهدف تحريك الوعي بالصراع الثقافي الذي يعيشه الفضاء الثقافي، وكذا التفطن للاضطرابات التي تعرفها الهوية الثقافية، والتي تنعكس سلبا على البنية الاجتماعية للمجتمع لأنه كثيراً ما ينجم عن التغيرات السوسيو ثقافية تداعيات تمس خاصة هويات المجتمعات وتنشأ لديهم أزمات هوياتية التي بدورها تؤدي إلى اختلال التوازن والاضطرابات وصراعات وسط ثقافاتهم.

وباعتبار أن الثقافة والهوية الثقافية يتماشيان باتجاه مترابط، فالثقافة بحاجة للهوية كوسيلة تحمي الميراث الثقافي، وبالمقابل الثقافة تساهم في تطور الهوية لدى الشعوب وتقدم لهم اختياراتهم في الانتماء.

الكلمات المفاتيح: الهوية الثقافية، المتغيرات والتحولات السوسيو الثقافية، البنية الاجتماعية، الميراث الثقافي.

Socio-cultural variables and their impact on the cultural identity of the UAE society

Mohammed Rashid Mohammed Rashid Al-Hefiti

Faculty of Arts and Humanities Mohammed V University Rabat

ISBN :978-9957-67-204-1 – ISSN (ISSN-L):2617-9857

Abstract :

Through this article, we seek to know and know the reality of cultural identity in Emirati society in light of the sociocultural changes and changes currently taking place in the UAE in order to shed light on the effects of these changes. . The cultural space, as well as the perception of disorders identified by cultural identity, negatively affect the social structure of society because sociological changes often have repercussions that particularly affect the identities of societies and create crises of the inseparable which in turn cause disintegration Balance, turmoil and conflict between their cultures.

Culture and cultural identity are in tune with culture, which requires identity as a means of protecting cultural heritage, while culture contributes to the development of people's identity and offers them a choice of belonging.
Key words: cultural identity, sociocultural changes and transformations, social structure, cultural heritage.

مقدمة:

كثيرا ما شكل مفهوم الثقافة بتعدد توجهاته ومساراته العديد من الدراسات التي أصبحت ملازمة للعلوم الاجتماعية، بحث ظل هذا المفهوم ضروري لهذا الحقل الاجتماعي إلى حد ما، وذلك من أجل التفكير حول وحدة البشرية من خلال التنوع بشكل يختلف عن التفكير المستند إلى البيولوجيا. لهذا فهو مفهوم يقدم أكثر الأجوبة إقناعاً على سؤال الفارق بين الشعوب، وذلك لأن الجواب " العرقي" أخذ يفقد من قيمته شيئاً فشيئاً مع تطور علم الوراثة البشري.

فالإنسان بالأساس كائن ثقافي. وعملية التحول الطويلة إلى إنسان التي بدأت قبل عشرة ملايين سنة، انطوت في جوهرها على الانتقال من التكيّف الوراثي مع البيئة الطبيعية إلى التكيّف الثقافي. وعبر مسيرة ذلك التطور الذي أدى إلى نشوء الإنسان العاقل أي الإنسان الأول، تراجعت الغرائز تراجعاً كبيراً، وحلّت الثقافة تدريجياً محلها وهو التكيف الذي تمكن الإنسان من السيطرة عليه. وقد تبين أن هذا التكيّف أكثر فاعلية من التكيف الوراثي لأنه أكثر مرونة وأسهل وأسرع قابلية للانتقال. والثقافة لا تتيح للإنسان

ISBN :978-9957-67-204-1 – ISSN (ISSN-L):2617-9857

التكيف مع بيئته فحسب، بل تتيح له إمكانية تكييف هذه البيئة لحاجاته ومشروعاته، بمعنى آخر، الثقافة تجعل تغيير الطبيعة أمراً ممكناً.

وحتى لو امتلك كل البشر المخزون الوراثي نفسه لكنهم يختلفون عن بعضهم في خياراتهم الثقافية حيث يتمكن كل شعب من إيجاد الحلول الملائمة. ولكن، يمكن رد هذه الاختلافات إلى بعضها بعض لأنها تمثل تطبيقا للمبادئ الثقافية الشاملة نظراً للوحدة الثقافية التي تجمع البشرية، على اعتبار أن هذه التطبيقات عرضة للتطور بل وللتغيّر.

المبحث الأول: الهوية الثقافية: مقاربة نظرية وممارسات فعلية

ترتبط الهوية بالثقافة، وتتجسد من خلال عناصرها، بحيث تُعكس هويات الشعوب من خلال ثقافاتها[1]، كما تجمع الهوية الثقافية كل ما هو مشترك بين أفراد المجموعة كالنظم والمثل والمعايير والقيم... والانتماء لثقافة يعبر بالانتساب لقيم ومعايير هذه الثقافة، بحيث تعتبر الهوية مزيجاً تتدخل فيه الثقافة، فلا هوية بدون ثقافة.

وهذا الارتباط بين الثقافة والهوية شغل فضاء العلوم الإنسانية والاجتماعية، تقريبًا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية من القرن العشرين وأصبحتا من الاهتمامات والانشغالات الأساسية للمختصين بهذه العلوم.

وبناءا على هذا ارتأينا أن نتطرق أولا إلى مفهوم **الثقافة** وتطورها، ومن ثم مفهوم **الهوية الثقافية** بأبعادها:

1. **تطور مفهوم الثقافة:**

إن مفهوم الثقافة من المفاهيم التي يصعب تعريفها وضبط طبيعتها ومكوناتها، كما قد عرف المفهوم عدة معاني وتحولات عبر التاريخ والحضارات، وحسب التخصصات العلمية بأروبا وأمريكا-ونشير خاصة إلى الأنثروبولوجيا-فبداية سنذكر ما عرفه المفهوم من تغيرات في المعاني لنتوصل إلى توضيح معناه الحالي.

2. **الثقافة في الحضارة الغربية:**

[1]. E Morin: «La méthode 2. La vie de la vie » Paris, Le Seuil 1980-

ISBN :978-9957-67-204-1 – ISSN (ISSN-L):2617-9857

إن مفهوم **الثقافة** كمصطلح يُعبَر عنه بكلمة **culture** باللغات الغربية وخاصة اللاتينية، ومدلوله الأصلي يختلف عن لفظ **ثقافة** باللغة العربية.

فقد مر لفظ الثقافة **culture** (في اللغات الغربية) تغيرات عبر عدة مراحل تاريخية بدأت مع ظهور قرن التنوير بحيث بدأ يظهر عندهم عبر الظروف الخاصة ببناء اللغات الأوروبية أُستوحي من كلمة «**فلاحة**» **culture de la terre**وقد أدمج معناه المزاجي بالقاموس الفرنسي سنة 1718م.

فمفهوم **الثقافة** بمعناه الواسع والذي أصبح اليوم متفق عليه عموما يشير إلى طرق العيش والى طرق التفكير، بينما في الماضي القريب (ابتداء من القرن **18** بأوروبا) شكلت كلمة **ثقافة culture**، موضوع جدال ونقاش حاد خاصة حول كيفية تطبيقها على بعض الحالات لان استعمالها يشير قبل كل شيء الى ما هو معنى رمزي، وهذا من شأنه أن يثير خلافات في الجانب اللغوي والجانب الفكري، لهذا أصبحت العلوم الاجتماعية ملزمة باتخاذ موقف علمي إزاء الكلمة التي تأسست كمفهوم.

ولذلك فالمعنى الابستمولوجي **للثقافة** يتعلق بالفلاحة Agriculture أي فلاحة الأرض، أما معناه المجازي يقصد المجهود الفكري وهي نتيجة مجموعة من المعارف المتعلقة بمختلف العلوم أو الفنون... ومن جهة أخرى يقصد به تنظيم هذه المعارف، وكل ما يجعلها حقيقة منظمة ومدمجة لكي تشكل الكل المنسجم.[2]

أما المعنى السوسيولوجي للثقافة "فهو يُعبر عن مجموعة الصفات التي يتكون منها نمط الحياة الخاص بكل مجموعة اجتماعية..."[3].

3. مفهوم الثقافة واستعمالاتها عند الأنثروبولوجيين:

مفهوم الثقافة كمصطلح علمي تعدد عبر التاريخ، وتداخلت استعمالاته، وأصبح في الوقت الحالي مفهومها يكتسي معاني مدققة ،خاصة في العلوم الإنسانية والاجتماعية وهذا راجع إلى ظروف استعماله من طرف المفكرين الذين مارسوا أبحاثا في هذا المجال وأسسوه كمصطلح له معنى ومضمون، فمن الضروري

[2] Geneviève Vinsonneau « *Culture et comportement* » Armand Colin Paris 1997 p52

[3] G.Vinsonneau Ibid., p52

ISBN :978-9957-67-204-1 – ISSN (ISSN-L):2617-9857

أن نلقي نظرة على أهم المفكرين الذين استعملوه في مجالات أبحاثهم، لكي يتبين لنا ما وصل إليه هذا المصطلح من دقة في المعنى ووضوح في الميدان المعارفي، بفضل اهتمامات بعض الأنثروبولوجيين الذين مارسوا أبحاثا ميدانية تهدف إلى تحديد معنى "الثقافة" بحيث استعمل لفظ الثقافة من طرف الأنثروبولوجيا الانجليزية، وأبرز من يمثلها **تايلور** (**Taylor**) « **Primitive culture** » **"الثقافة البدائية"**1871م أين استوحى معنى الثقافة من أعمال **كلايم** (**G.Klemm**) الذي سبقه ونشر موسوعة حول (**التاريخ العالمي للثقافة الانسانية**) فاقتبس من أفكار (**كلايم**) الكثير من المعطيات لكي يبني بها مصطلح الثقافة التي تُعتبر عنده مرادفة للمصطلح "**حضارة**" قائلا :"ان الثقافة أو الحضارة بمعناها الاثنوغرافي الواسع، هي جملة معقدة تحتوي على المعارف والاعتقادات والفن والقانون والأخلاق والعرف وكل الاستعدادات والتصرفات التي يكتسبها الانسان بصفته عضو من المجتمع".[4]

فهذا الوصف لمفهوم الثقافة أو التوضيح يعتبر وصف يشمل مجموعة من الظواهر التي يمكن ملاحظتها وتتبعها كما قام به **تايلور**.

وقد **سبق** أن أُنتقد **تايلور** من طرف بعض الانتروبولوجيين، بأنه طابق بين مفهوم الثقافة وبين مفهوم الحضارة وبهذا يُعد من طليعة المفكرين الذين عملوا على تطوير لفظ "الثقافة" ووضعه كمصطلح ومن ثمة كمفهوم.

ونجد كذلك الاثنولوجي الفرنسي **نيكولا** (Journet Nicolas) من خلال كتابه "**الثقافة من العالمي إلى الفردي**"[5] وَضح اتجاه **بوآس** الذي يعتبر: " الثقافة كجُملَة متكونة من المعتقدات والعادات

[4] GUY ROCHER «Culture, civilisation et idéologie», Introduction à la SOCIOLOGIE GÉNÉRALE. Première partie : L'ACTION SOCIALE, chapitre IV, pp. 101-127.Montréal : Éditions Hurtubise HMH ltée, 1992, troisième édition. p 01

[5] Journet, Nicolas : *« La culture, de l'universel au particulier »,* Editions .Sciences Humaines. Paris. 2002

ISBN :978-9957-67-204-1 – ISSN (ISSN-L):2617-9857

والتنظيمات الاجتماعية، التي بفضلها تتميز وتنفرد مختلف المجتمعات"[6]، وبهذا فهو يكون ورث مفهوم – *Kultur*– الألماني الذي معناه "حضارة" والذي يُطلق عليه معنى "المجموعة الروحية المدمجة" وهو مفهوم تبنته الأنثروبولوجية الأمريكية[7].

ومن بين توجهاته النظرية يُؤكد بأنه لا وجود لثقافة أحادية هي أُم كل الثقافات بالمعنى المعياري لمصطلح ثقافة... ولا يعترف بهيمنة ثقافة مرجعية صالحة لكل البشرية[8].

يبين السوسيولوجي والانتروبولوجي الفرنسي **دنيس** (**Denys Cuche**) بأن مفهوم **الثقافة** ومفهوم الهوية **الثقافية** يتماشيان نحو اتجاه مترابط، لكن هذا لا يعني التداخل فيما بينهما، إلا أنه يمكن اعتبار بان الثقافة لا تتوقف على الهوية، بينما **الاستراتيجيات الهوياتية**، يُمكن لها أن تُغير أشياء في الثقافة حتى تعطيها صبغة مُحورة.

فالثقافة مرجعها يكون دائماً في صيرورة غير شعورية؛ بينما الهوية تُشير إلى نمط الانتماء الذي هو شعوري *processus d'appartenance conscient* في مجال العلوم الاجتماعية.

فمفهوم **الهوية الثقافية** تتميز بمعانيها العديدة لأنها ظهرت كمفهوم حديث، عرف الكثير من التعديلات.وعليه فالمجتمعات باختلاف ثقافاتهم والاحتكاك الثقافي الذي زادت وتيرته، واستعانتهم بالهوية كوسيلة تحمي ميراثهم الثقافي المهدد بالزوال.

وتذهب المفكرة الفرنسية **فانسونو**(**G. Vinsonneau**) [9] (تهتم بدراسة ثقافات الشعوب والهويات) إلى ربط الثقافة بالهوية وتعتبر بأن الثقافة هي منتج أو موارد تسبب في تطوير الهوية لدى الفاعلين الاجتماعيين وتوجه نماذج تقاسم القيم التي تقدم لهم واختياراتهم في الانتماء. فالهوية الثقافية كمفهوم حديث، يُمثل بناء مستمر على طول الحياة ويُوضح الاختلاف الموجود بين حاملين الثقافة،

---

[6] J.Nicolas Ibid

[7] J.Nicolas Ibid

[8] محمد العربي ولد خليفة: المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، الجزائر، منشورات ثالة، 2007، ص46

9 Geneviève Vinsonneau « L'Identité Culturelle »Armand Colin Paris 2002 p09

ISBN :978-9957-67-204-1 – ISSN (ISSN-L):2617-9857

وعلاقتهم مع مختلف الثقافات[10]، لهذا يستلزم البحث في هوية كل ثقافة وخاصيتها، كونها مُلمة ولها فضاء مُحدد وواضح، وبالتالي الهوية لا تكتسي صفة الكونية كما يعتقد البعض.

كما أن الهوية الثقافية هي مصطلح مزدوج، يترتب عنه خاصيات وصفات التي تبرز من خلال ممارسات يومية، وله أبعاد وحدود في فضاء أصبحت تطفو عليه التغيرات السوسيو ثقافية الحديثة.

وأصبحت إشكالية الهوية الثقافية تشكل طرحا للمجتمعات العربية خاصة، لأن هذه المجتمعات تلم بخصوصيات ثقافية مُميزة، تجمع بين شعوبها.

ونخص الحديث هنا عن المجتمع الإماراتي، لما عرفه من تمازج عرقي واحتكاك ثقافي عبر التاريخ، وحركية وتبادلات متزايدة بفعل تطور وسائل الاتصال، فصارت ثقافاته تأخذ تشكلات جديدة، قد تَمس بهويته الثقافية. نتيجة ما يتعايش في الدولة من ثقافات متعددة، إذ إن وصف الثقافة السائدة في المجتمع بأنها ثقافة عالمية هو أفضل توصيف لواقع المجتمع في دولة الإمارات العربية المتحدة؛ ليس لوجود الزخم الثقافي العالمي على أرضها فحسب، بل لأن المجتمع الإماراتي يتقبل ذلك ويتأقلم معه. ومن هنا يجب أن تكون محددات الهوية الوطنية مستندة إلى الثوابت والمقومات التاريخية المحلية، بالإضافة إلى المعطيات المجتمعية المستحدثة. فالهوية هي نتاج لأيديولوجيا نابعة من تفاعل مجموعة من العوامل الاجتماعية والدينية والسياسية والنفسية. وبذلك فإن قدرة الهوية على الرسوخ رهينة بدرجة التجانس التي تستطيع مقوماتها أن تحققها؛ بالإضافة إلى أن قدرتها على تحفيز الانتماء تخضع لعمق الترابط داخل مكوناتها. وللهوية الإماراتية القدرة على إنجاز هذه الشروط، إذا ما توافرت لها المساحة الكافية في الزمان والمكان. ويستلزم غرس الولاء في نفوس الناشئين من أبناء الإمارات وضع معايير محددة للتنشئة الاجتماعية، ويستوجب روحاً وطنية عالية وفاعلة بعيدة عن المصلحة الفردية الضيقة؛ ويحتاج الإنسان الإماراتي إلى وعي تام بمقتضيات العلاقة بين الذات الفردية والجماعية وبين الآخر المختلف ثقافياً. وهذا الشرط لن يتحقق إلا بإعادة النظر في المناهج والسياسات التربوية، ولا مفر من تبني استراتيجية تعتمد على المساءلة النقدية. إن ما تتطلبه الحال في مجتمع الإمارات الآن هو العمل على ترسيخ هوية وطنية بمكونات جامعة، بحيث يكون قوام هذه الهوية

[10] Louis-Jacques Dorais « construction de l'identité » Dpt anthropologie Québec. Université Laval

ISBN :978-9957-67-204-1 – ISSN (ISSN-L):2617-9857

الوطنية مرتكزاً على المقومات العربية ذاتها، على الرغم من تصدع تلك المقومات والحاجة إلى إعادة تعريفها، مع المحافظة على مسافة احترام وتفهم لاختلاف الثقافات الأجنبية الوافدة وتنوعها[11].

المبحث الثاني: الهوية الثقافية أمام التغيرات الثقافية بالمجتمع الإماراتي

إن تعاقب مختلف الأجناس البشرية على دولة الإمارات العربية المتحدة، كان له أثر على الثقافات المحلية، بفعل تغيرات وتحولات مستمرة كانت تعيشها مجتمعاتها من تلاقح وتجانس عرقي، وتمازج ثقافي... وكل هذه العوامل ساهمت في تشكيل بنية الهوية الثقافية لهذه المجتمعات، ونخص البحث عن تكون معالم الهوية الثقافية ل "شبه الجزيرة العربية" أي الإمارات.

وعلى هذا الأساس، سنخوض عن أهم الأنماط الثقافية التي مستها التغيرات والتحولات بالمجتمع الإماراتي بهدف التعرف على نوع الأثر الذي خلفته في تكوين الهوية الثقافية الإماراتية بحيث سنستند على معطيات تاريخية تُمكننا من التعرف على ماضي الظاهرة الاجتماعية وكيفية نشأتها وتطورها عبر العصور.

وليس القصد من هذا المبحث سرد التاريخ، وإنما هو اقتراب سوسيو تاريخي الهدف منه البحث وسط أهم الفترات التاريخية والمراحل الحساسة التي قد تكون ساهمت في تكوين المعالم الثقافية لهذا المجتمع من جهة.

ومن جهة أخرى محاولة تحليل الظروف التي أحاطت بظاهرة التغيرات الثقافية التي مست المجتمع الإماراتي، منذ نشأتها لمعرفة طبيعتها، وما خضعت له من مقتضيات التي كان لها تأثير قوي في تكوين الهوية الثقافية تدريجيا وعبر العصور إلى أن أصبحت على شكلها (أو أشكالها) الحالية.

1. **واقع الازدواجية اللغوية بالمجتمع الإماراتي:**

لم يظهر مصطلح الازدواجية اللغوية Diglossie في أدبيات اللسانيات إلاّ في سنة 1959م حين استخدمه اللساني وعالم الاجتماع الأمريكي شارل فرغيسون (Fergusson) فيصعب تحديد معاني مفهوم الازدواجية وهذا لكونه نسبي وليس مطلق.

[11] خالد محمد القاسمي: التاريخ الحديث والمعاصر لدولة الإمارات العربية المتحدة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط 2، 1999 م– 1420هـ، ص: 12.

ISBN :978-9957-67-204-1 – ISSN (ISSN-L):2617-9857

وعند عملية بحثنا تصادفنا بعدة مفاهيم متداخلة معه منها: "الثنائية اللغوية والتعاقب اللغوي والمزج اللغوي."

فمصطلح الازدواجية اللغوية يعني في اللغة الاغريقية الثنائية اللغوية، وحدد معناها فرغيسون على أنها العلاقة الثابتة بين ضربين لغويين بديلين ينتميان إلى أصل جيني واحد: أحدهما راقٍ والآخر وضيع (كالعربية الفصحى والعاميات وكالإغريقية الشعبية الحديثة والاغريقية المهذبة الصافية...) فتُرفع منزلة أحدهما "يعتبر المعيار" ويكتب به الأدب المعترف به، ولكن لا تتحدث به إلا الاقلية، وتُحط منزلة الآخر، ولكن تتحدث به الأكثرية[12].

وإذا تمعنا في تعريف الازدواجية اللغوية الذي جاء لفرغسون نجده يتطابق مع الواقع اللغوي للناطقين بالمجتمع الإماراتي، الذين يستعملون نظامين لغويين مختلفين هما اللغة العربية بلهجاتها واللغة الإنجليزية مُسخران في الحديث الواحد بشكل غير منتظم، بحيث هناك نوعين من الازدواجية اللغوية:

المتزنة: وهي التي يتساوى طرفا الازدواجية من حيث قدرة الفرد على استعمال اللغة الوطنية ولغة المستعمر بالتساوي والثقافة أيضًا.

وغير متزنة: هي تلك الازدواجية التي يتفوق فيها تكوين الشخص في لغته وثقافته على لغة أخرى وثقافتها...[13]

فوضع المتحدثين الإماراتيين اليوم متأرجح بين هذين النوعين من الازدواجية اللغوية، فهم يستعملون اللغة العربية مع اللغة الإنجليزية وحينا آخر اللغة العربية مع العامية، ويُعرف هذا المزج اللغوي ب: **التعاقب اللغوي** code switching الذي يتمثل في إدراج جمل من لغة ما في نص لغة أخرى وبمعنى آخر هو الانتقال من لغة إلى أخرى أثناء الكلام.

---

[12] لويس جان كالفي: حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة: حسن حمزة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2008، الطبعة الأولى، ص78.

[13] محمود الداودي: التخلف الآخر "عولمة أزمة الهويات الثقافية في الوطن العربي والعالم الثالث"، تونس الأطلسية للنشر، 2002، الطبعة الأولى، ص16.

ISBN :978-9957-67-204-1 – ISSN (ISSN-L):2617-9857

والملاحظ بأن الواقع اللغوي بالمجتمع الإماراتي، يتمثل في الكتابة باللغة العربية الفصحى والتحدث بلهجات عامية وهذه الأخيرة ليست لغة، وكما ذكرنا سالفا عن "**فرغيسون**" الذي وضح نموذج اللغة المعياري وبديله الشعبي، وأعطى مثال عن "**تاهيتي**" وضمن نسق بحثنا نقدم "**الإمارات العربية المتحدة**" كمثال والتي يتشكل نموذجها اللغوي من:

- لغة أدبية مكتوبة وهي اللغة العربية (معيار راقي) يُعتمد عليها في الأدب، ووسائل الإعلام والرسائل الشخصية...
- ولهجات منطوقة والمنتشرة بالمجتمع والتي لم تُعتمد أية واحدة منها في الكتابة الرسمية.

وتختلف هذه اللهجات بالفضاء اللساني الإماراتي، من منطقة إلى أخرى، فكل جهة تتميز بلهجة تخصها.

فالواقع اللغوي بالإمارات ظاهره تتسم بالتعاقب اللغوي والمزج اللغوي بين العربية ولهجاتها، وبين اللغة الإنجليزية.

وتتصف هذه الازدواجية اللغوية بأنها غير متساوية، بحيث تطغى اللغة الإنجليزية على لغة متحدثيه، وضمن هذا السياق يقول أحد الباحثين: "يتعذر النظر إلى هذه الازدواجية بوصفها الاستعمال المتناوب للغتين فحسب، بل يجب النظر إليها من حيث علاقة التنافس الموجودة بينهما، وهي علاقة جدلية تجعل -المتخاطبين وحال الخطاب-إحدى اللغتين تنتقل من منزلة اللغة المهيمنة إلى منزلة اللغة المهيمن عليها"[14].

والملاحظ على الناطقين الإماراتيين، وعلى الرغم من تعريب التعليم، وما تُنتجه المدرسة الإماراتية حاليا، بأنهم مزدوجي اللغة، بين اللغة العربية واللغة الإنجليزية.

وحسب تعريف **أ.مارتيني**[15]، للازدواجية اللغوية بأنها "الاستعمال المتناوب للغتين من قبل الفرد أو الجماعة الواحدة، على الأقل لدحض ذلكم الاستنتاج القاضي بأن لا وجود للازدواجية إلا في حال امتلاك اللغتين المعنيتين امتلاكا كاملا متماثلا" وبذلك حتى مصطلح **ازدواجية** لا يمكن إطلاقه على

[14] خولة طالب الإبراهيمي مرجع سبق ذكره ص48

[15] خولة طالب الإبراهيمي مرجع سبق ذكره ص44

ISBN :978-9957-67-204-1 – ISSN (ISSN-L):2617-9857

الناطقين الإماراتيين، فبأي خانة يُمكن وضعهم؟ وهذا التضاد يؤدي إلى رهان ليس لغوي فقط بل مرده إلى ضرب مقومات الهوية الثقافية.

فظاهرة الازدواجية اللغوية، ظاهرة لا تخص المجتمع الإماراتي فحسب، بل ظاهرة تشمل دول العالم العربي والمجتمع الخليجي بشكل خاص، شغلت الكثير من المفكرين، لأنها تعد قضية يتشاركون فيها، ولأنها إحدى مخلفات الاستعمار على حد تعبير المفكر **مالك بن نبي**: "لقد أحدث الاستعمار العديد من الظواهر المختلفة في المجال الاقتصادي والاجتماعي والإداري في البلاد التي استعمرها ومن بينها ظاهرة الازدواج اللغوي التي تترك أثرها ومفعولها المباشر على الظواهر الثقافية في البلاد". فمشكلة الازدواجية اللغوية كونها كقضية خاصة بالتثاقف والاستلاب اللذان يهددان الهوية الثقافية وبالأخص ملازمة اللغة العربية للغة الفرنسية فتتحول إلى ازدواجية ثقافية تعمل في اتجاه سلبي نحو الهوية الثقافية، لأن اللغة هي في آن واحد فعل ثقافي في غاية الجودة وهي بواسطتها تنشأ وتبني كل أشكال الحياة الاجتماعية وتصبح ذات ديمومة (**كلود لفيس ستروس Levi Strauss**).

فالواضح بان الازدواجية اللغوية التي يعرفها الوطن العربي قائمة على صراع الثقافات واللغات، وهي ظاهرة سلبية تهدد هويته الثقافية.

وممكن أن نقول عن الواقع السوسيو-لساني بالإمارات العربية المتحدة، بأنه واقع يعيش صراع لغوي، يتمثل في الازدواجية اللغوية بين اللغة المحلية واللغة الإنجليزية، هذه الظاهرة تتعدى المجال اللغوي اللساني، بل تخلق اصطدام بين ثقافتين عن طريق لغتين مختلفتين.

وبالفعل الازدواجية بالمجتمع الإماراتي، وحسب نتائج البحوث الميدانية، خلقت صراع بين اللغتين، بحيث تتغلب لغة المستعمر على اللغة المحلية وأحيانا تصل هذه الغلبة إلى الثقافة أيضا، فالوضع الذي آلت إليه اللغة العربية بعد الاستقلال نلمس فيه نوع من العلاقات القائمة بين الغالب والمغلوب. وأصبح يُنظر للغة العربية، على أنها لغة الدين والروحيات أما اللغة الإنجليزية لغة الدنيا والتقدم.

2. علاقة الأكل بالهوية الثقافية:

ISBN :978-9957-67-204-1 – ISSN (ISSN-L):2617-9857

تحتوي ثقافة الأكل على نوع الغذاء وطريقة الأكل، والأنظمة والممارسات الغذائية وكل ما يتعلق بالمأكل، يعتبره **كلود ليفيستروس (Claude levi Strauss)** فعل بيولوجي-سيكولوجي و سوسيولوجي bio-psycho-sociologique .

أما الانتروبولوجيا[16]، ترى في الغذاء حدثاً اجتماعيا وثقافياً كاملا، تجمع فيه وسائل اختيار واكتساب وحفظ وتحضير الأطعمة، اضافة الى معارف بما فيها الغذاء الصحي وسلوك وتصورات وأساطير، والغذاء كملمح حضاري يشكل بصور ما نظاماً.[17]

هذا النظام الغذائي حامل لمعنى مزدوج ينكشف بين أشياء أخرى عند التمييز بين الطعام والغذاء، وبين الثقافي والعضوي.

فالأكل باعتباره فعل بيولوجي اجتماعي، يرتبط بالإرث الثقافي للمجتمعات، ويُعد عنصر كباقي العناصر الثقافية: الموسيقى، الرقص، اللباس، النمط المعماري...وغيرها من العناصر التي تعكس الهوية الثقافية لكل مجتمع إنساني.

الأكل يُمثل هويات الشعوب، فعندما نسمع اسم غذاء أو طبق، تتجه أذهاننا إلى مجتمع معين، مثل أُكلة لابيلا la paella يتجه الفكر مباشرة نحو **اسبانيا**، وعند سماع السباجيتي spaghetti يسافر فكرنا إلى **ايطاليا**، والتَبولة نتذكر **بلاد الشام** وليكراب les crêpes نجول **بفرنسا**... وغيرها من الأطباق التي تعد ولا تحصى، والتي تُمثل وترمز لثقافة المجتمعات وبطاقة هوياتهم.

فعلاقة الأكل بالهوية الثقافية، هي علاقة حتمية، ولهذا نلاحظ بأن مختلف المجتمعات تعمل على الحفاظ على هذا الإرث الثقافي، وبالأخص أننا في عصر العولمة وبشكل خاص **العولمة الثقافية**، التي تهتم برواج المنتجات الثقافية عبر العالم كله وأصبحت في هذه الآونة ظاهرة منتشرة في جميع القارات، بحيث يمكننا أن نجد العديد من المنتجات الثقافية الخاصة بمجتمع معين، منتشرة في فضاءات أخرى مثل: رقصة **الصالصة**

---

[16] أول البحوث الانتروبولوجية حول التغذية ظهرت عند شعب بمبا في زامبيا بين 1930 و1934 والتي شكلت نموذجا للأبحاث الميدانية عن المتغيرات على صعيد الممارسات الغذائية في الولايات المتحدة الأمريكية.

[17] بياريونت، وميشال ايزار: *معجم الاثنولوجيا والأنثروبولوجيا*، ترجمة: مصباح الصمد، لبنان، ص: 385.

ISBN :978-9957-67-204-1 - ISSN (ISSN-L):2617-9857

الكوبية منتشرة **بلوس-أنجلس** أو "**الريقي الجمايكي**" **بأستراليا**، أو غناء "**الراي الوهراني** " **بالنرويج**، أو غذاء "**الهمبورجر الأمريكي** " **ببكين** في **الصين** أو "**السوشي**" **اليابانية** بمطاعم **باريس**...

وتعرف هذه الظاهرة ردود فعل مختلفة، فالبعض يعتبرونها إيجابية، تبشر بقيام ثقافة عالمية موحدة وديمقراطية بحيث أصبح العالم "قرية كبيرة" (**مرشال ماك لوها Marshall Macluhan**)[18] يتبادل فيها الجميع ثقافة كونية، بسبب اكتساح الثقافات من طرف الوسائل الإعلام. والبعض الآخر يرون فيها علامة فقدان الهوية الثقافية لكل مجتمع، ويعبرون عن تأسفهم لذلك.

وهناك آخرون يتمسكون بمواقفهم المتميزة المضادة لهذه الظاهرة الخطيرة مثل حركة "المضادون للعولمة" بأروبا، والذين عرقلوا جمعيات عامة مثل ملتقى**g7** ب: **كولونيا ألمانيا** سنة 1999 وقمة OMC ب: **سيتل** SEATTLEسنة 2000 ومنتدى الاقتصادي ب "**دافوس**"**DAVOS** بالولايات المتحدة الأمريكية سنة 2000 الخ...الذين يعتبرون بأن الثقافة ليست بضاعة تباع من طرف الرأسماليين، وهذا ما يعطينا نظرة حول اهتمام المجتمعات الواعية بخطورة العولمة الثقافية. وعلى حد قول السميائي الفرنسي **بارت**[19] (**ROLAND Barthes**): "الغذاء يلعب دورا هاما في التنشئة الاجتماعية البشرية، والوعي بالذات والجسد، في اكتساب اللغة وتنمية الشخصية..."، فأنظمة التغذية وأساليب تحضيرها وعادات الأكل يشاركوا في نظام مختلف الدلالات وأهمها التواصل، حيث نتعلم ماذا نأكل وكيف نأكل... فنكتسب ثقافتنا التي نختص بها، وبذلك نتعلم من نحن.

---

[18] Jean-Pierre Warnier « La mondialisation de la culture »la découverte Paris 2003- 2004.

[19] ROLAND Barthes « Mythologies » Paris Edition seuil 1957« Les aliments jouent un rôle déterminant dans la socialisation humaine, dans la prise de conscience de soi et de son corps, dans l'acquisition du langage et dans le développement de la personnalité »

ISBN :978-9957-67-204-1 – ISSN (ISSN-L):2617-9857

وبهذا السياق يقول أيضا أخصائي بأمراض المعدة الفرنسي **جون أونتلام** Jean-Anthelme (Brillat-Savarin): "قل لي ماذا تأكل، فأقول لك من أنت !!" فالنموذج الغذائي يحدد هوية الفرد، كباقي العناصر الثقافية...

أخذت ثقافة الأكل بالإمارات العربية المتحدة صبغة جديدة، بحيث تحولت من النمط التقليدي إلى النمط المعاصر والعالمي، وتغيرت بموجة التغيرات الثقافية التي عرفتها باقي الظواهر الاجتماعية –الثقافية بالمجتمع الإماراتي.

فأصبحت تعرف الأطباق التقليدية الإماراتية العديد من التغيرات، فلم تعد تحضر بالمنازل، وانتشرت ظاهرة تحضيرها بالمصانع وتشترى من خارج المنازل مثل[20]:

- **الهريس** وهي وجبة تتكون من حب القمح، واللحم أو الدجاج، يضاف اليه الملح، ويطبخ لوقت طويل، ويحرك بشكل متواصل حتى ينضج ببطء. ويرتبط الهريس عادة بالأفراح والمناسبات، وليالي شهر رمضان المبارك
- **الثريد** أو الخبز المغموس بمرق اللحم، والخبز المستخدم في الثريد هو (الرقاق)، حيث يقطع خبز الرقاق إلى قطع صغيرة توضع في إناء، ويصب عليها المرق ويقلب، ثم يوضع فوق الخبز اللحم أو الدجاج ويقدم للأكل
- **المضروبة** أكلة شعبية تتكون من الطحين والسمك المملح. يُغسل السمك المملح ثم يوضع في الماء المغلي على النار، ثم تضاف إليه البهارات ويقلب معها، ثم يصب الطحين على الخليط ويقلب حتى ينضج.

وأصبحت تحضر في محلات الأكلات السريعة التي تعرف إقبالا كبيرا من قبل المستهلكين مثل "**الفاست فود**".

[20] خالد بن محمد القاسمي: الإمارات العربية المتحدة تاريخ وحضارة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1998، ص: 14.

ISBN :978-9957-67-204-1 - ISSN (ISSN-L):2617-9857

كما يبرز المطبخ الإماراتي الحديث خليطاً من الثقافات التي تتوافد على دولة الإمارات، مثل المقبّلات التقليدية كالحمص والتبّولة، التي تعود إلى مطابخ بلاد الشام، والبرياني الهندي، لتحضير العديد من أطباق الأرز الإماراتية، واستخدام الليمون الحامض، وماء الورد من بلاد إيران.

أما من الاجتماعية والثقافية، تتضح تداعياتها جلياً في العلاقات والتفاعلات الاجتماعية، فبعدما كانت "طاولة الأكل" تجمع شمل العائلات الإماراتية تقلصت، بحيث انعدم الأكل جماعة بمنتصف النهار (على حسب ثقافة الأكل الإماراتية) بالمجتمع الحضري بحكم التطورات والتحولات التي عرفها المجتمع كخروج المرأة للعمل والدراسة والحراك الاجتماعي الذي يعيشه المجتمع... وبذلك بقيت وجبة العشاء التي تجمع أفراد الأسرة.

فالأكل جماعة ليس للأكل فقط، وإنما له بُعد اجتماعي، بحيث يكون فرصة للتحاور بين أفراد الاسرة والنقاشات وفك الخلافات وتوطيد العلاقات الاجتماعية. فعادة "الاكل جماعة" تُوطد العلاقات الأسرية، إلا أن المجتمع الإماراتي بتبنيه عادات دخيلة عنه أصبح يفتقدها، وهذا الفقدان يُضعف الرباط الاجتماعي ويمس بالنظام الاجتماعي وذلك يعني بأن هذه التغيرات في الأنماط الثقافية وتبني أخرى جديدة، يُؤدي الى التفكك الاجتماعي "بات من المعلوم أن التفكك الأسري مرتبطاً بالتغيرات الاجتماعية التي تصيب البناء الاجتماعي..."[21].

خاتمة:

إن مفهوم الثقافة من بين المفاهيم الأكثر تعقيدا في العلوم الإنسانية كما تبين لنا، وهو يتميز بكثرة المدارس وبتعدد الاتجاهات التي تشتغل بهذا المفهوم المحوري في العلوم الاجتماعية المتخصصة في دراسة الحضارات وثقافات مجتمعات والتداخل الثقافي والصراع الثقافي والعولمة... وخلال تدرجنا في الموضوع وجدنا أن الثقافة ومن ورائها الهوية مقترنتين بالتغيير والتحويل، كون أن الثقافات كيان غير منغلق، متأرجح بين الانفتاح على ثقافات أخرى وبين الانغلاق، ومجال التغير يتوغل في الهوية الثقافية بصفتها الصورة العاكسة للثقافة، فلهذا جاء الهدف من المقال هو التعرف على واقع الهوية الثقافية الإماراتية، في ظل التغيرات والتحولات السوسيو الثقافية التي تعيشها ثقافة المجتمع الإماراتي بالوقت الراهن.

21 معن خليل العمر: التفكك الاجتماعي، الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2005، الطبعة الأولى، ص: 211

ISBN :978-9957-67-204-1 – ISSN (ISSN-L):2617-9857

Conclusion:

The concept of culture is one of the most complex concepts in the humanities, as we have seen. It is behind identity, coupled with change and transformation, since cultures are an indefinite entity, oscillating between openness to other cultures and closure, and the field of change penetrates cultural identity as the reflective image of culture. Qa Emirati cultural identity, in light of the changes and transformations experienced by the socio-cultural culture of the UAE community time being.

لائحة المصادر والمراجع المعتمدة

1. بياريونت، وميشال ايزار: *معجم الاثنولوجيا والأنثروبولوجيا*، ترجمة: مصباح الصمد، لبنان.
2. خالد بن محمد القاسمي: الإمارات العربية المتحدة تاريخ وحضارة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1998.
3. خالد محمد القاسمي: التاريخ الحديث والمعاصر لدولة الإمارات العربية المتحدة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط 2، 1999 م– 1420هـ.
4. خليل ياسين واخرون: اللغة العربية والوعي القومي بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز الدراسات الوحدة العربية بيروت مركز الدراسات العربية 1984الطبعة الأولى.
5. لويس جان كالفي: حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة: حسن حمزة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2008، الطبعة الأولى.
6. محمد العربي ولد خليفة: المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، الجزائر، منشورات ثالة، 2007.
7. محمود الداودي: التخلف الآخر "عولمة أزمة الهويات الثقافية في الوطن العربي والعالم الثالث"، تونس الأطلسية للنشر، 2002، الطبعة الأولى.
8. معن خليل العمر: التفكك الاجتماعي، الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2005، الطبعة الأولى.

قائمة المراجع باللغة الأجنبية:

ISBN :978–9957–67–204–1 – ISSN (ISSN–L):2617–9857

1. E Morin : «La méthode 2. La vie de la vie » Paris, Le Seuil 1980.
2. Geneviève Vinsonneau « *Culture et comportement* » Armand Colin Paris 1997.
3. Geneviève Vinsonneau « L'Identité Culturelle »Armand Colin Paris 2002.
4. GUY ROCHER «Culture, civilisation et idéologie», Introduction à la SOCIOLOGIE GÉNÉRALE. Première partie : L'ACTION SOCIALE, chapitre IV, pp. 101-127.Montréal : Éditions Hurtubise HMH ltée, 1992, troisième édition.
5. Jean-Pierre Warnier « La mondialisation de la culture »la découverte Paris 2003- 2004.
6. Journet, Nicolas : *« La culture, de l'universel au particulier »,* Editions Sciences Humaines. Paris. 2002.
7. Louis-Jacques Dorais « construction de l'identité » Dpt anthropologie Université Laval Québec.
8. ROLAND Barthes « Mythologies » Paris Edition seuil 1957« Les aliments jouent un rôle déterminant dans la socialisation humaine, dans la prise de conscience de soi et de son corps, dans l'acquisition du langage et dans le développement de la personnalité »

List of approved sources and references

1. Baryont, Michel Isar: Dictionary of Ethnology and Anthropology, translated by Mesbah Samad, Lebanon.
2. Khalid bin Mohammed Al Qasimi: United Arab Emirates History and Civilization, Modern University Office, Alexandria, 1998.
3. Khalid Mohammed Al Qasimi: Modern and Contemporary History of the United Arab Emirates, Modern University Office, Alexandria, 2nd floor, 1999 - 1420.
4. Khalil Yassin et al.: Arabic Language and National Awareness Researches and discussions Intellectual Symposium organized by the Center for Arab Unity Studies Beirut Arab Studies Center 1984 First Edition.
5. Louis Jean Calvi: The War of Languages and Language Policies, Translation: Hassan Hamza, Beirut, Center for Arab Unity Studies,

ISBN :978–9957–67–204–1 – ISSN (**ISSN–L**):**2617–9857**

2008, first edition.
6. Mohamed Larbi Ould Khalifa: Cultural Issue, Issues of Tongue and Identity, Algeria, Thala Publications, 2007.
7. Mahmoud Daoudi: Other Underdevelopment "Globalization of the Crisis of Cultural Identities in the Arab World and the Third World", Atlantic Atlas of Publishing, 2002, First Edition.
8. Maan Khalil Al-Omar: Social Disintegration, Jordan, Dar Al-Shorouk for Publishing and Distribution, 2005, First Edition.
References in foreign language:

1. E Morin: «La méthode 2. La vie de la vie» Paris, Le Seuil 1980.
2. Geneviève Vinsonneau «Culture et comportement» Armand Colin Paris 1997.
3. Geneviève Vinsonneau «L'Identité Culturelle» Armand Colin Paris 2002.
4. GUY ROCHER «Culture, civilization et idéologie», Introduction à la SOCIOLOGIE GÉNÉRALE. Première partie: L'ACTION SOCIALE, chapitre IV, pp. 101-127. Montréal: Éditions Hurtubise HMH ltée, 1992, troisième édition.
5. Jean-Pierre Warnier «La mondialisation de la culture» la découverte Paris 2003- 2004.
6. Journet, Nicolas: «La culture, de l'universel au particulier», Editions Sciences Humaines. Paris. 2002.
7. Louis-Jacques Dorais «construction de l'identité» Dpt anthropologie Université Laval Québec.
8. ROLAND Barthes «Mythologies» Paris Edition seuil 1957 «Les aliments jouent un rôle déterminant dans la socialisation humaine, dans la prise de conscience de soi et de son corps, dans l'acquisition du langage et dans le développement de la personnalité»